القسم الثاني

أمتي والعصر

هذا بلاغ للناس

١ ــ القرآن ومنطق الحتمية التاريخية

٢ ــ القرآن والتفسير العصري

٣ ــ الإيمان والعلم

- الإيمان ، بين الوعي والتحذير
- العلم ، بين الأصالة والادعاء
- العلم ، بين الأصالة والادعاء
- من عطاء الإسلام ، للمنهج العلمي :
  لا أدري ، والله أعلم

وصل إنسان العصر إلى القمر .

وأمتي في محنتها بفلول العصابات اليهودية التي حطت على أرضنا ، وأنشبت مخالبها في صميم كياننا ووجودنا .

وفي حساب السياسة الدولية المعاصرة ، أنها معركة الشرق الأوسط .

وفي حساب التاريخ الإسلامي ، أنها جولة في معركة أمته ضد أعداء دينها تأخذ دورها هذه المرة ، على أرضنا الطيبة التي تصدت ببسالة للغزو الصليبي وردته مقهوراً عن حماها .

وفي حساب التاريخ العام ، أنها جولة في معركة إنسانية رهيبة ضد أعداء الإنسان : امتدت زماناً من عصر الفراعنة والأشوريين والرومان ...إلى العصر الحديث .

واتسعت مكاناً من الأسر البابلي إلى المانيا والشرق الأوسط .

والتاريخ لا يستطيع أن يجد تفسيراً لتتابع هذه الجولات وامتداد أبعادها ، إلا أن تكون معركة واحدة للبشرية ضد أعداء الإنسان .

ولا يملك أن يقدم تعليلاً ، إلا أن الشعوب والأمم تواصت فيما بينها على مواصلة النضال لإنقاذ البشرية من وباء خبيث .

وأجيال البشرية تتلقى تبعة هذا الجهاد ، دون أن تسجله في وثيقة مدونة أو عهد مكتوب .

لأنه من أمانة أنسانيتها التي تتوارثها تلقائياً ، تحقيقاً لوجودها الإنساني ، وحماية لما ناضلت عنه طويلاً ، من حق وخير وجمال .

ولولا أنها تعي أن العنصرية اليهودية لعنة وشر وقبح ، لانحصرت المعركة في زمن بعينه أو منطقة بذاتها . ولما تتابعت جولاتها من أقدم المعروف من التاريخ ، إلى عصر القمر ! واتسع ميدانها على مسار ذلك الزمن الطويل ، من وديان الرافدين والنيل وفلسطين وشمال الحجاز ، إلى ضفاف الفولجا والتايمز والسين والراين ...

ومن هنا تأخذ القضية ، كما قلت ، في التقديم ، موضعها مع قضايا الإنسان في عصرنا ، وإن كانت أمتي هي التي تحمل عبء هذه الجولة الشرسة ، بكل تكاليفها وضحاياها لحساب شرفنا وشرف الإنسان

وإذ سبق لي عرض هذه القضية بأبعادها التاريخية والفكرية ، في كتابي (أعداء البشر) [1] ،

لا أنظر إليها هنا إلا من حيث هي قضية إيمان وعلم ؛ تنتصر بهما أمتي في جهادها الأكبر ضد عدوها وعدو الإنسان ، وتواصل مسيرتها لتأخذ المكان الذي عرفه لها تاريخ الحضارة الإنسانية منذ كان . .

• • •

١ نشره بالقاهرة ، سنة ١٩٦٨ : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

القرآن ومنطق الحتمية التاريخية

« لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين »

(سورة آل عمران)

من عجبٍ أن تفسير تاريخنا ، المادي منه والسياسي والفكري يظل يدور ويحور ليجد هذا القرآن دائماً : أمام الأمة منارَ نهضة ودليلَ مسرى ، وهدفَ كلِّ محاولةٍ لبغْي الاستغلال وسيطرة الاحتكار .

• • •

المرحلة الدقيقة الحرجة ، التي تجتازها أمتنا اليوم ، تحتاج إلى رؤية واضحة لتاريخها يضيء لها معالم الطريق وآفاق الطموح .

ونحن أمة عريقة ، مرت بها على مسار تاريخها الطويل عصور ازدهار وانحطاط ، سايرت يقظتها ووعيها ، أو غفوتَها وخمولها . وهي لا تستطيع أن تحمي وجودها وتتابع سيرها على مراقي تقدمها ، ما لم تستقرىء ماضي خطواتها على درب الزمن ، وتدرك سر قوتها وبقائها ، وعواملَ ضعفها وذرائع تخلفها ...

والنظرة الثاقبة الشاملة لتاريخنا وموازين القوى فيه ، ترى أول ما ترى كتاب الإسلام .

لأنه الذي يعطي تاريخنا تفسيره

ويعطينا منطق حتميته .

• • •

ولا جدال في أن المذهب المادي لتفسير التاريخ ، كان خطوة هامة في سبيل تحرير الفهم التاريخي من أسْرِ السياسة التي سيطرت عليه أمداً طويلاً ، وحصرته في مدارها .

كما كان خطوة تقدمية في المنهجية التاريخية ، بعد أن كانت كتابة التاريخ في جملتها ، مجرد جمع للأخبار والمرويات والآثار ، وسردٍ زمني لتتابع الأحداث ودورانها في فلك السياسة الحاكمة ، بمعزل عن الجماعات والشعوب ..

ولا يسلم المذهب المادي من أخطاء ، لكن تبقى له هذه القيمة في خطوته التقدمية نحو صيرورة التاريخ علماً ، بالمفهوم العام لمعنى العلم ، تدخل فيه كل العلوم والدراسات الإنسانية .

ومهما نختلف مع الماديين في تفسيرهم للتاريخ ، ويتفاوت تقديرنا لما كان للعامل الديني والوجداني من أثر نافذ في توجيه التاريخ على إطلاقه .

فإن الضمير العلمي الحر ، لا يجحد ما أجدى هذا المذهب على الفهم التاريخي وتطور دراسته .

دون أن نتحجر فكرياً في حدوده الصارمة ، لا نمد البصر إلى ما وراءها من آفاق رحبة ، على نحو ما فعل الذين نظروا إلى الدنيا والتاريخ من الزاوية الحادة للمذهب المادي ، معتقدين أنه نهاية المطاف وآخر الطريق ، وكأن الإنسانية تجمدت عند الموقف الذي أطل منه «ماركس» في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فلن تتحرك بعده خطوة على الطريق عَصِيّةً على سنة الارتقاء ، غير مستجيبة لقانون التطور الذي هو دعامة المذهب المادي نفسه ، وجوهر فلسفته .

أو كأنها حُبِست في دائرة مقفلة ، فلن تنطلق منها أبداً .

ولا أتنبأ بغيبٍ لم ينكشف بعد من آفاق ، بل أنظر فيما طرأ من جديد بعد المذهب المادي في تفسير التاريخ ، منذ إعلان بيانه قبيل منتصف القرن الماضي :

• نظرية وحدة المعرفة ، قد ألغت الفواصل الحادة بين دوائرها التي تتماس وتتلاقى وتتداخل ، وإن لم تفقد كل منها معالمها الخاصة المميزة .

وبمنطق وحدة المعرفة ، لا يمكن أن يستقل المذهب المادي بتفسير التاريخ .

• وتقدم علم الإنسان ، فأدرك أن هذا الإنسان ليس فرداً من قطيع ، يخضع لنمط واحد من السلوك وتضبطه قوالب عامة كالتي تضبط سائر الكائنات سواه ، بل كلُّ إنسانٍ عالَمٌ وحده .

• وتقدم علم السياسة فأحل نظرية الوحدة العضوية للمجتمع ، محل نظرية العقد الاجتماعي .

وتطورت مناهج الدرس منتفعة بكل ما استحدث العصر من ضوابط ، يجب أن يعرض عليها أي مذهب وضعي ورثناه من قرن مضى .

وشهد عصرنا أحداثاً ثورية في حياة الشعوب ، وارتاد آفاقاً كتبت التاريخ بقلم لا عهد للقرن التاسع عشر به ، وأضافت إلى القيم الإنسانية موازين لم يعرفها جيل ماركس ولينين ..

• • •

من هذا المنطلق الفكري الحر ، أتأمل في تاريخنا بنظرة مستوعبة ،

فيلقاني كتاب الإسلام حيثما نظرتُ وأنّى اتجهت .

يستقطب العوامل الأخرى في تفاعل مؤثر ، فيعطي تاريخنا تفسيره ومنطقه .

لا يغض من شأن أي عامل آخر ، سياسي أو اقتصادي أو ثقافي . ولن أخذ دور التوجيه والقيادة .

من القرن الهجري الأول ، كان لواء الإسلام يجمع شعوباً اختلفت أصولها وسلالاتها ، وتناكرت قبله عقائدها ومللها ، وتفاوتت نظمها السياسية وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وتباعدت ألسنتها وعقلياتها وأمزجتها وثقافاتها .

جمعها أمة واحدة .

من بلاد فارس وما وراء النهر ،

إلى المغرب الأقصى والأندلس على حافة بحر الظلمات .

اجتمع الفارسي والعراقي والبدوي النجدي واليمني ، والشامي والمصري والمغربي : أمة واحدة .

وانصهر ميراث الحضارات العريقة لشعوب هذا العالم الإسلامي الرحب ، في البوتقة الواحدة .

والتقى البوذيون المجوس والصابئة والوثنيون المشركون وطوائف الملل الدينية ، على دين واحد .

وتعربت الشعوب ، من العجم والفينيقيين وأبناء الفراعنة والبربر ، لأنها

أسلمت . والعربية لغة القرآن : كتاب عقيدتها الواحدة ، ولواء وجودها المشترك .

أي عامل من العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية واللغوية والإقليمية والعنصرية ...

يمكن أن يحجب هذا القرآن ، أو يزحزحه عن موضعه الذي يعرفه الواقع التاريخي ، وتعرفه به ؟

* * *

ومن القرن الهجري الثاني ، بدأت الحضارة الإسلامية تأخذ دورها القيادي لتضيء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى ، وتحدو مسراها إلى فجر النهضة ، وعصر العلم الحديث .

حضارة عربية اللسان والقلم ،

إسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج .

شاركت فيها شعوب الأمة من أقصى المشرق الآسيوي إلى أقصى المغرب الإفريقي .

وتألق ضياء مناراتها ، من نيسابور والري وأصفهان ، وخوارزم وبخاري وسمرقند ، وبغداد والبصرة والكوفة ، والآستانة وبيروت ودمشق وحلب والقدس ، ومكة والمدينة ،

إلى القاهرة والإسكندرية ودمياط ، وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسنطينة ووهران ، وفاس ومراكش وطنجة وسبته ، وطليطلة وقرطبة واشبيلية ومرسية ...

والقرآن دليل هذه الحضارة الإسلامية الرائدة ، ومنارها ولواؤها .

• • •

وعلى نور هداه ، صدت الأمة غزوات الصليبيين وهجمات التتار .

وإن استنفدوا من طاقاتها ما عطل دورها القيادي في بناء الحضارة .

وانطلقت به أوروبا تغذ السير إلى عصرها الحديث ، مزودة برصيد الحضارة الإسلامية وتراثها الذي انتقل إليها على المعابر التاريخية المشهورة : البوسفور والدردنيل ، وصقلية والأندلس ...

• • •

ودخلنا نحن في ليلنا الطويل ؛

نمنا ، لكننا لم نمت ..

وغفلنا ، لكننا لم نفقد الوعي ..

وتخلفنا ، لكننا لم نتُهْ ؛ ولا ضاع منا الطريق ..

كان القرآن معنا ، وفي قلوبنا وضمائرنا ..

يُتلَى في الدور والأكواخ والمساجد والزوايا ، وينفذ إلى نجوع البوادي وقرى الريف ..

منفرداً بالسيطرة الكاملة على ضمير الجماهير من أبناء الأمة الذين لم يصل إليهم ، من أي سبيل ، شعاع ضوء وافد من الغرب .

وإذ فُرِضَتْ الأمية على عامة الجماهير ، وحيل بينهم وبين قراءة أي كتاب أو صحيفة ومجلة ، بقي لهم كتابهم الهادي ، ينسخ أميتهم بمددٍ

سخي من الوعي ، ويمزق عن بصيرتهم حجب الجهل وغشاوة العمى وغطاء الغفلة ، ويلح على عقولهم وأفئدتهم بكلمات الله في أمانة الإنسان وكرامة الآدميين .

وحين كانت الأمية فاشية ، والمدارس تتجافى عن القرى والنجوع والبوادي والواحات والأحياء الشعبية في المدن ، وتقيد الدخول إليها بلوائح ديوانية ورسوم مالية .

كانت هناك للأميين مدرستهم القرآنية ، تستقبلهم وهم صبية في المهد ، وتسهر على تثقيفهم وهدايتهم طول مراحل العمر ، لا تصدهم عنها لوائح ونظم ؛ ولا تحتاج ، لكي تؤدي رسالتها إليهم ، إلى مبنى مدرسي أو طلب التحاق أو إجراء كشف طبي ، أو أي قيد آخر من قيود السن والقدرة والمستوى المادي أو العقلي .

كانوا جميعا يسمعون القرآن ويتلونه ويحفظون ما صح لهم من آياته ، وإن كانت جمهرتهم الغالبة أمية لا تفك الخط .

وتجلت آية الله فينا :

« هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويُزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين »

• • •

على هدى ذلك النور الذي لا ينطفىء ، سرت شعوب الأمة في ليلها البهيم ، يحدوها دعاء الحق والخير والكرامة .

ومن منهله الصافي ارتوت . وهي تستجمع قواها لترفض الطغيان والبغي ، وترجم الاستعباد .

وفي هذه المدرسة القرآنية المنتشرة في كل القرى والنجوع والدروب والزنقات ، تلقت الأمة الشحنة الثورية لمعارك التحرير ، بكلمات الله يتلوها أبناؤها الأميون — أو تُتلَى عليهم — مصبحين ومُمسين ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، تزكيهم وتعلمهم الكتاب والحكمة ، وترسخ في ضمائرهم فريضة الجهاد للتحرر من أغلال العبودية المهينة ، لغير خالقهم..

• • •

كيف يمكن أن نفهم تاريخنا أو نفسره ، بمعزل عن هذا القرآن بسلطانه الفذ على ضمير الجماهير ووعيهم ، وهم يتمردون على أغلال الاستعباد ، ويرجمون صروح الظلم والطغيان ؟

ذلك ما لم يخطئه أعداء الأمة ، من كل جنس وملة ، وفي كل عصر وجيل ...

• • •

على مسار الزمن ، من فجر المبعث إلى اليوم ، لم يعرف التاريخ هدفاً شُدت إليه أبصار أعدائنا ، مثل هذا القرآن .

تغير الأعداء فوجاً من بعد فوج .

وجاءوا من شتى الأقطار ومختلف الجنسيات والعصبيات .

وتفاوتت طبيعة الحرب ومواقعها من جولة إلى أخرى .

وتفاوتت كذلك أنماطها وأسلحتها .

والهدف هو الهدف ، لم يغب قط عن بصر عدو ، ولا حادت عنه نظرته .

وإن تذرعوا إليه بكل ما عرفت دنيانا من حيل وذرائع .

وقصدوه سافرين حيناً ، ومتنكرين أحياناً في عجائب وغرائب من أفانين الأقنعة والأزياء .

ما وراء هذا الهدف ، لم يكن يعنيهم ابتداء ، لأن أي هدف وراءه هين ...

كل القلاع من ورائه والحصون ، ليست عصيّةً إلا بمقدار ما يمنعها هذا الحصن الأول .

ومناطق النفوذ والاستغلال والاحتكار ، وثغور الغزو المعنوي والفكري . لن تكون بعيدة ولا صعبة .

ما لم يبق هذا القرآن حارساً لضمير الأمة ، ساهراً على إيمانها بالحق والكرامة ، ولواء يجمع شعوبها من مشرق ومغرب ...

* * *

من فجر المبعث ، كان هذا القرآن يؤرق ليل المشركين من قريش . وشهدتهم دار الندوة في أم القرى ساهرين يتداولون أمره فيما بينهم ، التماساً لوسيلة يصرفون بها سمع العرب عن هذا القرآن .

ويقول كبير منهم « الوليد بن المغيرة المخزومي » :

— يا معشر قريش ، إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً .

ويتخبطون في حيرتهم ، لا يدرون بمَ يصفون هذا القرآن ، وماذا يقولون فيمن جاء به من وحي ربه .

هل يقولون : كاهن ؟

لقد عرفوا وعرفت العربُ الكهان ، فما القرآن بسجع الكاهن ولا زمزمته !

أو يقولون : مجنون ؟

لقد رأوا الجنون وعرفوه وعرفته العرب جميعاً ، فما هو بخَنْقِه ولا تخالُجِه ولا وسوسته ...

أو يقولون : شاعر ؟

إنهم لعلى يقين أنه ليس بشاعر ، وقد عرفوا الشعر كله وعرفته العرب : رجَزَه وقصيده ، وهزجَه وقريضَه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما القرآن بالشعر .

أو يقولون : ساحر ؟

كيف تصدقهم العرب ، وإنهم ليعرفون السحرة وسحرهم ، وليس هذا القرآن بنفثهم ولا عُقَدهم ؟

وغُلبوا على أمرهم ، فسألوا «الوليد بن المغيرة» بما له من خبرة السن والرأي المسموع فيهم ، أن يختار لهم ما يقولون للعرب في هذا القرآن ليصرفوهم عنه . أجاب الوليد :

— والله إن لقوله لَحلاوةً .... وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو السحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ...

وخرجوا بهذا القول مجمعين عليه .

وتوزعوا فيما بينهم مداخل مكة ، يترصدون لوفود القبائل ، وقد أخذوا سبيل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه أن يسمع ما يتلو « محمد بن عبدالله » من كلامٍ هو السحر ..

دفاعاً عن موروث جاههم ودين آبائهم ، وإبقاء على ما هيأ لهم موضعهم بمكة حول الحرم ، من سلطان ديني واقتصادي على القبائل العربية .

والقرآن كان الهدف ،

لأنه الذي ينسخ تلك الأوضاع الجاهلية التي يحاربون للإبقاء عليها ...

• • •

مع حركة التحول التاريخي من دار المبعث إلى دار الهجرة ، كان اليهود هناك في مستعمراتهم الناشبة في يثرب وما حولها من شمال الحجاز .

وقد عبأوا أحبارهم للجدل في القرآن إعناتاً لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام .

وتذرع من تذرعوا منهم بالإسلام ، فتنكروا بالقناع الموهم . وخالطوا المسلمين يلقون إليهم أسطوريات من إسرائيلياتهم ، لينحرفوا بفهم الأمة لكتاب الإسلام ، ويطعموه بعناصر يهودية .

دفاعاً عن وجودهم المغتصب في الأرض الطيبة التي طرأوا عليها من وطأة الرومان الساحقة ، فأنشبوا مخالبهم وأنيابهم فيها ، يستنزفون خيراتها ويحتكرون موارد الرزق فيها ، حتى أثروا ثراء فاحشاً على حساب الوجود العربي لأهلها الأوس والخزرج ، الذين مزقتهم فتنة يهود ، وأوقدت بينهم نار العداوة والبغضاء ، وسهروا عليها يلهبون ضرامها في حروب متتابعة ، خضبت أرض يثرب بدماء القتلى من العرب ، على امتداد خمسة قرون قبل الإسلام ،

والهدف هو القرآن ،

لأنه الذي جمع شمل الأوس والخزرج ، وأطفأ نار الحروب بينهم ، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً في العقيدة وأنصاراً لنبي الإسلام ، عليه الصلاة والسلام ، وجنداً مؤمنين في حزب الله !

وهو الذي أنار للأميين الطريق ، ليحققوا وجودهم الحر وينجوا من مخالب مصاصي الدماء وأكلة الربا وقتلة الأنبياء . ويكشفوا ما زيف يهود على الموسوية ، وما تقولوا على الله وحرفوا من كلمات التوراة ....

• • •

في الحروب الصليبية ، كان الطامعون من الفرنجة في احتكار خيرات أرضنا والسيطرة على مواردها الاقتصادية . قد ارتدوا قناع التدين ، وزيفوا الصليب شعاراً موهماً .

وتعددت موجات الغزو وجولات الحرب . حتى أعياهم آخر الأمر أن ينفذوا إلى ما أرادوا من مناطق الاستغلال والاحتكار والسلطة .

لأن القرآن كان هنا ، لواءَ الجهاد ونور البصائر ، والمدد الذي لا ينقطع من ذخيرة الإيمان للمجاهدين . فوجاً في إثر فوج ، وجيلاً من بعد جيل ...

• • •

وتغيرت الأقنعة وتغيرت الذرائع ،

عادت الحملات الصليبية متنكرة في رداء الرهبان والعلماء ، وأقنعة الخدمة التجارية لتبادل المنفعة ، والتطوع للتبشير بثقافة الفرنجة وحضارة الغرب : توطيء للاستعمار هذه الأرض ، وتدرس له عقلية شعوبها ، وترتاد له الطريق المأمونة لغزوها ، وتكتشف له المداخل والثغور التي ينفذ منها أو يتسلل .

فكان هذا القرآن هو المدخل الذي حددوه . والهدف الذي قصدوه ..

الجنود المدربة من علماء الاستشراق والمبشرين الذين وجهتهم الكنيسة ومراكز الاستعمار ، والتجار الذين جاسوا خلال الديار . أكدوا لقومهم ألا سبيل إلى غزو الأقطار الإسلامية واللواء الواحد يجمع بينها ، والمدرسة القرآنية الإسلامية توحد المنهج والتربية والتعليم . فيدرس الطالب المشرقي على ضفاف السند والرافدين ، ما يدرسه الطالب المغربي على مشارف الأندلس : يبدأ بحفظ القرآن كتاباً أول ، قبل أن يتصل بأي كتاب آخر . ويتعلم تجويده على متون مشتركة . ثم يتلقى مبادىء علوم العربية والإسلام في كتب موحدة ، بعدها يأخذ طريقه حيث تختار مواهبه وتعين ظروفه . فيدرس الطب أو الكيمياء أو الطبيعة أو الجغرافيا أو الرياضيات والفلك ...

بعد أن تزود بثقافته القومية التي لا تختلف في المرحلة الأساسية ، في مشرق عنها في مغرب ..

ورحلات العلماء تعبر العالم الإسلامي بغير حدود ، والتبادل الثقافي والفكري والعلمي ، يتم على أوسع نطاق .

وألقى الاستعمار بكل ثقله في معركة التمزيق السياسي والثقافي لأقطار الأمة الواحدة ، وعبأ له كل الأسلحة المادية والمعنوية ، وانتشرت إرساليات التبشير والبعثات العلمانية ، تبتر من استطاعت من أبنائنا ، من جذور أصالتهم ، وترسخ فيهم عقدة الشعور بأن قديمهم سبب تخلفهم وغلة ضعفهم ، وتلح عليهم بفتنة «الحواجة» ليكونوا في أوطانهم ، وبين أهليهم غرباء !

وكشفت معارك التحرير التي امتد ميدانها على الساحة الكبرى

لوطننا الكبير ، أن ضمير الأمة بقي سليماً مرهف الوعي بما رسّخ فيه القرآن من إيمان بحقه المغتصب وغضب لحرماته التي لا يحل أن تستباح ؛ وما حمّلته عقيدته من تكاليف إنسانيته ، رفضاً للعبودية وجهاداً لسحق الشر والمنكر ..

• • •

وجاء الاستعمار الحديث بأقنعته الجديدة وأسلحته العصرية ، يشغلنا بصراع المذاهب ومعترك النظم والأوضاع ، ويمزقنا أحزاباً وشيعاً بعد أن مزقنا أقاليم وقوميات وثقافات .

دون أن يغفل عن الهدف غمضة عين :

انتعشت الإسرائيليات ، وراجت بدع التأويل العصري منحرفة بشباب الأمة عن فهم القرآن كما فهمته مدرسة النبوة ، ومتسلطة على وجدانهم بالفتنة التي تأخذ حيناً اسم القاديانية ، وأحياناً اسم العصرية وسمة العلمانية .

وحوربت اللغة العربية لأنها لغة هذا القرآن ، ولسان الملايين من أمته.

وضُيِّع تراثُ الإسلام . وشوه تاريخ الإسلام ، وزُيِّفت حضارة الإسلام .

سداً للذرائع التي تشد الأمة إلى منار وعيها وجذور أصالتها ، منذ تلقت كلمة «اقرأ» من غار حراء ...

• • •

وتفرض الحتمية التاريخية أن يظل هذا القرآن نوراً لبصيرة الأمة ، يهدي خطاها نحو الوحدة ، ويرهف وعيها لظاهرة الغربة الثقافية بين أبنائها ، ويقود جهادها الباسل لتطهير حماها من رجس الصهيونية ودنس القراصنة .

ويؤمن مسعاها الطامح إلى تحقيق وجودها الكريم الحر ..